Issue 6706 Saturday 11/7/2020
الزمان – السنة الثالثة والعشرون العدد 6706 السبت 18 من ذي القعدة 1441 هـ 11 من تموز (يونيو) 2020م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

من أين يبدأ الإصلاح ؟

وصال العزاوي
بغداد

يرى مالك بن نبي أن (مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ولايمكن لشعب ان يفهم او يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الإحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات او تهدمها) ويرى أن للحضارة ركنين :خلقياً / مادياً ,فلقيام أي حضارة لابد من توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور او ذاك من أطوار نموه . ويرى مالك بن نبي انه لكي تقوم أي نهضة فلابد من تحليل عوامل قيامها ,وقد أجمل عوامل قيام أي حضارة في : الانسان + الموارد + الوقت + الفكرة المحفزة الملهمة = الحضارة . فالإنسان العنصر الحاسم في معادلة الحضارة والذي يعطي لها قوتها وبقدر النجاح في صناعة البشر في مجتمع من المجتمعات تكون نهضته بوجوب صنع رجال (يمشون في التاريخ مستخدمين الموارد والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى) أما الدين فيمثل الفكرة المحفزة التي تدمج العناصر الثلاثة وتبعث فيها الحياة .. وفي أي مجتمع من المجتمعات إذا وجد الإنسان ووجدت الموارد ووجد الوقت ,فأن الفكرة المبهرة هي التي تجعل الإنسان يشتعل حيوية ليستفيد من الوقت .. فالدين يلعب دور الباعث للحركة ويعمل كمركب للعناصر الحضارية وبدونه لايكون أي نتاج حضاري .

ثم يقدم لنا مالك بن نبي معادلة اخرى في غاية الأهمية تقول : ان كل من يفكر في النهضة عليه ان ينظر اليها من خلال ثلاثة عوالم :

□ عالم الأفكار (مجموعة المعتقدات والمسلمات والتصورات والمبادئ والنماذج التي تحتويها عقول مجتمع ما في لحظة تاريخية ما .)

□ عالم الأشخاص (مجموعة العلاقات والنظم والاتصالات والقوانين التي تنظم حياة الاشخاص الذين يكونون هذا المجتمع فيما بينهم)

□ عالم الأشياء (كل ماينتجه هذا المجتمع من مبان وشوارع وزراعة وصناعة وغير ذلك من المنتجات والخدمات المحسوسة والملموسة).

والسؤال الذي يفرض نفسه من اين نبدأ بالإصلاح ؟ وبأي العوالم يجب ان نبدأ : (الأفكار –ام الأشخاص –ام الأشياء) ؟

ان عالم الأفكار هو العالم الذي يجب ان تعالجه عملية الإصلاح لأجل النهضة .. هذا العالم الذي يحتوي على أفكار حية وأفكار قاتلة ,نحن نعيش أزمة تحد وتهديد للفكر ,فإذا زرعت في منظومة معينه قيم السكون والخضوع والذل والاستسلام والتفرقة او غذيت أفكار استهلاكية تدعو للترف والنعيم في مجتمع ما , فانك تستطيع ان تقول ان هذا المجتمع آيل للانهيار والسقوط والتخبط .وإذا أزيلت هذه الأفكار نما المجتمع وتطور.

ويذكر الدكتور جاسم محمد سلطان (وقد نزل القرآن الكريم على امة تعاني من اختلال جميع العوالم .اختلال في عالم الأفكار وفي عالم العلاقات وفي عالم الأشياء) فكان عالم الأفكار البداية في الإصلاح فقد كان عالم الأفكار قبل الإسلام يعاني من ثلاثة اختلالات كبرى (اختلال قيمي مفاهيمي /الجهل والتخلف /الاعتماد على الظن) فجاء الإسلام ليعالج هذه المنظومة المختلة فقدم للإنسانية والبشرية نموذجا راقيا لما يمكن ان نسميه بالثورة الفكرية التي أريد بها تصحيح العقل وتنظيم المنهج العلمي في البحث والتفكير بإنكار حالة الانحباس الماضوي .. اذن منظومتنا الفكرية الإسلامية سليمة ومتكاملة وشمولية فالمراجعة تتطلب بتصحيح ما انحرف او شوه من الفكرة المركزية وهذه يتحملها القادة والمفكرين ورجال الدين والراعين عن الأمة .

لا بد من التفكير في وضع آليات مشتركة للدعم التكاملي للبلدان العربية والإسلامية المنكوبة تتجاوز المساعدات الآنية لتسهم في تحقيق الاستقرار وتدعيم الأمن الإنساني على المدى الطويل. فالقضايا المتعلقة بالخلل في التوازنات بين الأمم؛ ومنها الفقر والغذاء والبيئة هي قضايا أمنية محورية. إذ تمتلك القدرة على التأثير في حياة الأفراد على مستوى العالم. كما توجه حالة الأمن الإنساني، إمّا نحو الاستقرار أو عدمه. فالكوارث سواء أكانت طبيعية أو سياسية او اقتصادية أو يمكن التنبؤ بها أو متعمدة أو عارضة، تتطلب استجابة مدروسة تستند إلى برامج مؤسسية تتمتع آليات تنفيذها بشفافية عالية تضمن فعالية وسرعة التعامل مع الكوارث وتداعياتها المأساوية من فقر وبطالة وانتهاك لكرامة الشعوب وخسائر مادية ومعنوية.

إننا بحاجة إلى نهج مشترك في التعامل مع التحديات الداخلية والإقليمية والعالميّة؛ يأخذ بالحسبان البيئة السياسية والفكرية وكذلك البيئة الطبيعية والبيئة الإنسانية. فإذا تحقق ذلك، نصل إلى الوحدة العضويّة المنشودة بين الإنسان والأرض والشجر بين الإنسان والفكر بين الإنسان وأخيه الإنسان وأخلاقيّات المسؤوليّة الكونيّة. فما نطلبه هو وضع الإنسان في صلب معادلة الكرامة الإنسانية: كيف نغلق الفجوة في معادلة هذا الإنسان بين الفقر والغنى؟

ان عالمنا يتطلع الى تحقيق التنمية الشاملة في البلاد الإسلامية، والاهتمام بمشروعات التأهيل والتنمية، من خلال توظيف أموال الزكاة في مشروعات استثمارية إنتاجية تعود بالنفع على المجتمعات الإسلامية وفقرائها.. وهذا جهد محمود يمثل أنموذجًا حيًا لمفهوم أداء الزكاة: تكافل مجتمعات وعطاء خير ونماء حياة وتحقيق أمن إنساني شامل. يقول الله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (سورة التوبة، الآية .(60

إن تطبيق المعنى الإنساني لمفهوم الزكاة بمصارفها الثمانية من شأنه أن يسهم بدرجة عميقة في تخفيف معاناة الملايين من المهجّرين والمرحّلين واللاجئين والمقتلعين والمهمّشين في العالم. فالأمة لا تعرف حدودًا، ورسالتها الإسلامية الإنسانية العالمية تدعو إلى التضامن والتكافل ومسح آلام المنكوبين.

وإذا كان الاستعمار القديم قد خلّف لنا العديد من المشكلات العالمية، التي لا تزال مستمرة حتى الآن، فإن الاستعمار الجديد: أي استعمار الإرادة والخنوع والخضوع وتكبيلها سوف يورث الأجيال المقبلة مشكلات أعمق وأزمات أعنف. ولا يمكن مواجهة هذا النوع من الاستعمار إلا بالانتقال من القول إلى العمل المُجدي المتمثل في إقامة مختلف المؤسسات الفاعلة والضامنة لتفعيل الملايين من الشباب وتوظيفهم وحمايتهم من الاختراق والاستلاب والضياع .

وفي هذا المجال، لا بدّ من إعادة التفكير في القواعد الفلسفية للنظم الاجتماعية والفلسفية والسياسية والاقتصادية الإسلامية والعالمية؛ فمحاولات الإصلاح يجب أن تتضمّن إعادة النظر في القيم التي تحتويها تلك النظم ونختار ماينا سب مجتمعاتنا وفكرنا ولانخضع للاستنساخ والتبعية والانبهار المزيف .... وبينما نفكّر مجدّدًا في القواعد والأساسيات، لا بد من إلقاء نظرة أوسع على العوامل الخارجية التي تُزعزع العلاقات الهشّة، والتي تعيق التعاون الإقليمي والاستقلال المتكافل على مستوى الدول والمؤسسات والأفراد.

ولنستذكر ما يحدث في عصرنا الحالي من زلازل الثورات والانتفاضات والاحتجاجات ضد الظلم والاستبداد والفساد .. وهي نتيجة حتمية لاتفاجأ لمن يقرأ مؤشرات المنظومة الكونية والحكمة الإلهية في كل مايحدث من عواصف وفيضانات وبراكين وثورة البحار والمحيطات مع ثورات الشعوب لهي مؤشرات اشراط الساعة وقرب النهاية .. ان مجموع هذه الانهيارات له أسبابه ويحدث نتيجة ماتقوم به هذه المجتمعات (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) الكهف).59..وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) هود . 117فالقرى تهلك اذا عم الظلم وتنجو اذا كان اهلها مصلحين ان الآية لم تقل (صالحين) فهم في عملية إصلاح وبناء ... فانهيار الأمم حتمي بأسباب أفعالها وتكبرها .

ان الانهيارات التي نشهدها وسنشهد المزيد منها يبدأ من القمة .. فالفساد يأتي من القمة ,وهنا يأتي دور الشعوب للتغيير والإصلاح ورفض الظلم ,,اما تلك الجموع التي تستكين للظالمين يقول عز وجل (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) الاحزاب .67هؤلاء ان لم يأخذوا على أيدي الظالمين لذلك فالهلاك يعم الجميع .. والله تعالى يصف مشهد القطاع العريض ممن تبعوا القلة الظالمة فيقول(وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) سورة ابراهيم .....21ان إتباع الأغلبية لهذه الأقلية الفاسدة يكون بمجاراتها ومحاكاتها وعدم الأخذ على يدها وكل هذا يؤدي بالضرورة الى الانهيار .. ان الأمم تسقط عندما تتجاوز العدل .... ان دراسة التاريخ والبحث في السنن الكونية وفي الأسباب والمسببات مطلب عقلي لمن يعقل ويتقي الله عز وجل .. فالتاريخ هو بيت الخبرة الإنسانية ,ومن لايعرف التاريخ يتعثر في مطبات كبيرة اما من استفاد واتعظ ممن قبله فحري به ان لايجرب التجارب الفاشلة وان يزيد البناء لبنة .

ان إقامة الحكم الصالح جزء من رسالة الإسلام والسياسة الشرعية قسم من أقسام شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم كان رسولا ونبيا وكان ابتداء من الهجرة حاكما وقائدا، وان استقراء نصوص القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يثبت ان الإسلام نظام شامل لايتخلى عن هذا الجانب المهم من جوانب حياة الانسان .

وإذا اردنا ان نحدد ملامح الحوار الذي ينبغي ان يتحقق بين الشعوب وقادتها فان ذلك يتطلب منا الوقوف على ما تريده تلك الشعوب من حكامها ,ولعل ابرز ما تريده الشعوب من الحكام يتمثل في الامور التالية :

1- سلطة سياسية تعتمد رضا المحكومين وقبولهم وهو امر يتفق مع تصور الاسلام وتصور الديمقراطية مما يمنح الحاكم شرعية حكمه للجماعة .

2- مجتمع يعتمد العقائد والأخلاق والقيم الفاضلة .

3- منهج عقلي ناضج يتم به تدبير امور الحكم والسياسة وتلبية الاحتياجات الأساسية للأمة .

4- اعتماد مبادئ العدل والمساواة والحرية ونبذ التفرقة والمحسوبية والمنسوبية.

5- احترام حقوق الإنسان وحفظ كرامته وضمان أمنه والعيش الكريم .

6- محاربة الظلم والظالمين واجتثاث الفساد والفاسدين .

7- ان يتيح الحكام لشعوبهم الحرية الكاملة لان تقول كلمتها وتبدي رأيها في مجمل القضايا التي تهم الوطن والأمة .

8- القضاء على أزمة الثقة بين الحكام وشعوبهم التي نشأت بسبب فقدان لغة التواصل والحوار بينهما . ان العقلاء جميعا متفقون على انه ما من مصيبة من مصائب هذا القرن و ما سلفه قد حلت بالإسلام والمسلمين الا كانت نتيجة مباشرة لصراعات بعض الحكام واستبدادهم ومحاربتهم لأهل الرأي والفكر والعلم السديد وعدم سماعهم قول الحق وعدم رجوعهم الى موازين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا .

الجائحة وتعزيز الإضطراب النفسي والسلوكي للفرد

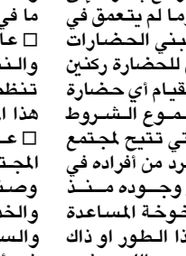

حمزة محمود شمخي
بغداد

من المؤكد ان جائحة كورونا وما خلفته من دمار نفسي وسلوكي بسبب العزل الاجتماعي وغلق الاقتصاد قد قست على المجتمعات المدنية قسوة لم يشهد التاريخ لها مثيل,فقد اضطربت السلوكيات النفسية اضطرابا كبيرا واصبحنا نشاهد تاثيرات الاضطراب على سلوك البعض من خلال فقدانه لتوازنه وانهزاميته التي جسدها بالتكاسل والوعيد والتهديد حتى لافراد عائلته اعتقادا ان ذلك يمنحه قوة في اصلاح منظومته الاجتماعية والسلوكية المتعبة والتي انهارت خوفا من الاصابة بالفايروس.

وبسبب الجائحة واستمرارها فقد ذلك النفر من الناس(السلام الداخلي)لهم والذي يعد معيار لرضا النفس دون البحث عن المشاكل واصطناعها,فالسلام الداخلي هو مرآة للشخصية السلوكية للفرد .

لقد تعرض السلوك الاجتماعي للافراد الى اضطرابات مدمرة بسبب جائحة كورونا ,وانعكست اثارها القاسية على الافراد بغض النظر عن اعمارهم وثقافتهم واجناسهم مما اثر على الصحة النفسية للمجتمعات ومثل هذا التاثير يثير القلق والفزع ,حيث تؤكد منظمة الصحة العالمية إن (أثر الجائحة على الصحة النفسية للناس يثير القلق بالفعل حيث ان العزلة الاجتماعية، والخوف من العدوى، وفقدان أفراد الأسرة يضاعفها الكرب الناجم عن فقدان الدخل والعمل في كثير من الأحيان) قد اربك المجتمعات وأسدى بتاثيره السلبي على سلوك الافراد,واصبحنا امام سلوك مضطرب قد يصل الى حد الايذاء في بعض الاحيان,والذي ستعاني منه المجتمعات المدنية ردحا من الزمن.

ان شخصية الفرد تتحدد بطريقة (التفكير والشعور والتصرف التي تجعل كل شخص مختلف عن الآخرين) وعادة ما تتاثر شخصية الفرد بالتجارب والبيئة المحيطة والخصائص الموروثة,حيث لا تظل شخصية الفرد ثابتة كما هي بمرور الوقت.

وشخصية الفرد ,حسب تعريفات علم النفس العلاجي(هي اسم جامع مركب من الطبع والصفات، والأحاسيس، والأفكار والسلوكيات المتأصلة والفريدة لدى الفرد) هذا يعني ان الشخصية تركيب متكامل من التربية العائلية والاجتماعية والثقافية الساقلة لطبيعة الفرد وعندما تفتقد الشخصية إلى الليونة الاجتماعية، عندها تُدعى بالشخصية(غير الطبيعية)وهذا يعني ان اصحابها يعانون من الاضطرابات النفسية والتي قد تكون قاسية عليهم وعلى المجتمع ,(فعندما تطرأ ظروف تتطلب ليونة في مكونات الشخصية,فإذا كان الشخص ذا مركبات تفتقر إلى الليونة,فقد تحد من قدرته على التاقلم).

توقعات المجتع

وتتعرض الشخصية الى اضطرابات تؤدي الى تباين (التفكير والشعور والتصرف وتنحرف عن توقعات المجتمع، وتسبب الكرب).

و الكرب هو(الشعور المؤلم الذي يداهمك فتشعر بانك تتمزق بشدة دون أن تتمزق.انه الحبل الذي يشد من جهتين,تخيل مقدار الضغط الذي يتعرض له هذا الحبل)

وينظر الى اضطرابات الشخصية بأنها(أنماط سلوكية تختلف اختلافا كبيرا عما هو طبيعي، وبسبب الكرب يمكن أن تستمر اضطرابات الشخصية لفترة طويلة لتؤثر على الأشياء التالية:

-طريقة التفكير في الذات والآخرين.

-طريقة الاستجابة عاطفيا.

-طريقة التعامل مع الآخرين.

-طريقة التحكم في سلوك الفرد.

وتتسم هذه الاضطرابات عموما بوجود مزيج من الأفكار والتصورات والعواطف والسلوكيات الشاذة والعلاقات غير الطبيعية مع الآخرين.

والاضطرابات النفسية لها اشكال مثل(الاكتئاب، والإضطراب الوجداني الثنائي القُطب، والفصام والاختلالات العقلية الأخرى، والخرف، والعجز الذهني، واضطرابات النمو بما في ذلك التوحد)وهذا الاشكال قد اثرت فيها الجائحة تاثيرا واضحا ومستمرا ولو بدرجات مختلفة.

وبالتالي فان من تاثيرات الجائحة القاسية اضافة الى الموت وتوقف الحياة هي تلك الاضطرابات الشخصية التي تجعل صاحبها معرضا(للوقوع في الأزمات والمعاناة،عاجزا عن ممارسة حياة طبيعية.

لا يعي ذو الشخصية غير الطبيعية إشكالية هذا الاختلاف، بل يكون على قناعة أن المشكلة التي تواجهه تكمن في الأشخاص والظروف المحيطة).

لقد أفرزت جائحة كورونا انواع من اضطراب الشخصية كما حددها علماء النفس الاجتماعي مثل:

-اضطراب الشخصية المرتابة (Paranoid personalit) يتميز المصابون بهذا الاضطراب بفهمهم لسلوكيات الآخرين، على أنها موجهه لتهديد وإلحاق الأذى بهم.

-اضطراب الشخصية الانعزالية المصابون بهذا الاضطراب يتسمون بالانطوائية والانعزالية.

-اضطراب الشخصية الفصامية صاحبها ذو شخصية انعزالية بعض الشيء، إلا أنه يكون أكثر غرابة، وبطريقة تثير الانتباه لأسلوب الملبس والماكل.

ويعتقد علماء النفس الاجتماعي ان(المرض العقلي) سيكون الموجة التالية لجائحة كورونا بسبب العزلة والتباعد الاجتماعي والكرب وغلق الاقتصاد وعدم معرفة المدة التي سيستغرقها الوباء.

لنتعامل بالحسنى مع المصابين والذين شفاهم الله ،ستكون حاجتنا لهم كبيرة من خلال حاجتنا لبلازمة دمهم لعدم توفر العلاج لحد الان.

لنعزز الصحة النفسية ولنهتم بها خوفا من الأتي.

حمانا الله وإياكم من شر هذا البلاء والوباء.

كلمات على ضفاف الحدث

في حر تموز: بكاء الأطلال وحكايات مؤلمة

عبدالله عباس
السليمانية

عندما اتذكر التسلسل الحقيقي لتاريخ احداث العراق اشعر بصدق كلام الرجل المسن والذي قال عندما رأى الشباب المتظاهرين السلمين يقتلون في ساحة التحرير بدم بارد وبنوع من الطلقات كانت غريبه حتي في اسلوب توجيهها "قال الرجل بحزن : مهما يتفلسف ادعياء السياسة والوطنيه و متمسكي (وباصرار) على تحريك العواطف دون التعمق بالنتائج "فاني واثق أن ماجرى لهذا البلد من خراب ودمار الى ان وصلنا الى ذلك اليوم المشؤوم 9 نيسان 2003و وصل الحال الى ان لايخجل احدهم ان يقترح جعل ذلك اليوم (عيد وطني)للعراقيين "كل ذلك حصل نتيجة تراكمات ذلك اليوم الذي صادف 14تموز 1958حيث انفجرت فيه كل جروح العراق من قبل مجموعة العسكر ادعو انهم منقذي الشعب عندما لم يمنعوا ان يبداء يوم الاول من عملهم بتشجيع (السحل ...!!!) طريقا للانتقام في حين كان البلد ولمدة عشرات السنين تنعم بالهدوء الاجتماعي و الناس منشغلون بالعمل البناء عداء بعض المزايدات السياسية كانت تحركها ايادي مشبوه .قام مجموعة من ضباط الجيش العراقي بعملية إسقاط النظام وإعلان الجمهورية ؛ وتوجه (اليسار..) إلى الشارع بشكل أوحى للناس بأن هؤلاء هم الذين أسقطوا النظام وهذه هي الخطوه الاولى لتخلصهم من (الإقطاع)مصاصي دم الشعب و (الرجعيين) أذناب الإستعمار و (اليميني) الشرير جاسوس الغرب الرأسمالي البغيض...كل ذلك بدون إعطاء الفرصة لأنفسهم وللناس ليعرفوا طبيعة (الضباط الأحرار–هذا كان إسم القائمين بالتغيير) وإنتماءاتهم (الطبقية) و(الاجتماعية) و (طموحاتهم كعسكريين) وأخطر من هذا دون معرفتهم بمدى تقبل أي واحد من القائمين بالتغيير لـ(فكر اليسار).... حرك (اليسار) الشارع العراقي مؤيداً (الزعيم) فقط لأنه كان يتحدث عن الكادحين ولم تمر شهور ؛ نعم شهور وليس أعواما بدأ الصراع بين العسكر ..! وبدون تعمق الفقراء من الشعب ؛ راسماً له صورة القائد الشيوعي بإمتياز؛ وانتشرت في العراق ظاهرة رمي الحبل للإعدام أو السحل...! كل ذلك دون أن يكون لليسار أية قوة تنفيذية في السلطة ، ولم تمر فترة حتى قام الزعيم بمطاردتهم كما كانوا مطاردين أيام الملكية ؛ فما قام به اليسار في العراق نذيرالشؤم لهم في المنطقة عموماً و العالم العربي والإسلامي خصوصاً . وحفظ الناس صورة اليسار وبيده حبل للإعدام أو السحل .

صورة مؤسفة

تذكرت هذه الصوره المؤسفة عندما اطلعت على (إحتجاج) أحد الأخوة من (اليساريين) وهو يهاجم وبعصبية (الرأسماليون وكلاب حراستهم من المثقفين..... وهم يعبرون عن فرحتهم بهزيمة اليسار ؛ بل مقلدين (حال من كان ولايزال غربي الهوى) وطرفين (المقلدين) لم يأتوا ؛ ولا يأتوا بما يتمناه أكثرية الناس في بلداننا ؛ لذا ترانا ولحد الآن نعاني من (التبعية المقيتة) مع الأسف ...وكما تحدثنا في موضوع أخر حول إزدواجية المثقفين وكذلك السياسيين وأشرنا إلى واقعة حدثت أيضاً في العراق :

صوت محتج

في بدايات عقد السبعينيات من القرن الماضي ؛رفع أحد مثقفي (اليسار) صوته محتجاً على الركود وعدم إنتفاضة ضد الواقع المر في بلده والمنطقة قائلاً (أيا جيلي ..أيا جيلي مسيحَ مات في المنفى...؛ غريباً دون ترتيل ؛ مسيح آخر آتي...فمن يحميه..ياجيلي..؟) ومرت الشهور وليس سنوات العقد إختار صاحب الصرخة (غربة) ليعيش كما يريد تاركاً خلفه بؤس الناس دون أن يترك إرسال اللعنة لتخلفهم وأكاد أجزم أنه وفي دواخله وبعد أن إختار المنفى صاح ملء فمه : (حيل بيهم...خلصنا من المتخلفين...!!) ويساري آخر وفي بلدي أيضاً وفي نفس الفترة الزمنية أيضاً أقام الدنيا وهو ينادي لاشعال ثورة جيفارية في قلب الأهوار موطن المستضعفين طريقاً لجلب السعاده والحرية لهم ولكل الشعب..ولم يمر سوى شهور قليلة فاجأ الناس في بلدي بهذا الثوري (تحفه !) وظهر على شاشة التلفزيون معلناً إستسلامه للذين أشعلوا نار الثورة ضدهم قائلاً: رأيت نفسي ظهري على الحائط وأمامي الرفاق في الحكم... ماذا أفعل غير إنسجام معهم...؟وكانت جائزته العيش الرغيد في باريس تاركاً كل الدماء وعوائل الشهداء الحالمين بـ"وطن حر وشعب سعيد" في الأهوار للقدر؛ وبعد أن أكمل خمس سنوات في موقعه ولم تقبل السلطة تجديد بقائه ,وفي باريس تحديداً ركض إلى جبهة المعارضة ؛ وعندما عاد إلى وطنه الممزق شغل قلمه لتشجيع النفس الطائفي (بصيغة اليسارللألفية الثالثة)...هكذا ذاق الشعب من (اليسار بس بالاسم) الأمرين..ولكن عندما قاد اليسار الفيتنامي حرب التحرير لتوحيد الوطن وطرد المستعمر ؛ بعد الانتصا ر لم ينتظر يوماً واحداً لتباحث وتقاسم السلطة بين الشمال والجنوب ؛ مع خروج آخر جندي أمريكي مهزوم رفع علم الوحدة فيتنام لأنهم كانوا يساريين بالفعل

وصدق من قال : إذا كان إنهيار الإتحاد السوفيتي وسائر دول المنظومة الإشتراكية من الإيجابيات كون هذا الإنهيار قد كشف عن هشاشة الانتماء وضحالةالكثيرين لأطياف مثقفي اليسار الماركسي وكأن هذا الإنهيار ضرورياً للكشف عن الوعي الزائف والانتهازي لهذا النمط من المثقفين ؛وأصبح اليسار عندنا نوعين :اليساري الهوى والامريكي النهج ؛ والثاني الباكي □ مختصر مفيد :

لاأعلم من باع الوطن ..! ولكنني رايت من دفع الثمن / الشاعر الخالد محمود درويش

المجاميع المسلّحة حجر عثرة أمام تطبيق القانون وبناء دولة المواطنة

محمد رسن
بغداد

نعيش في زمن اللادولة زمن ينحر به الطواغيت الأوغاد واحزابهم الفاسدة، كل الذوات الوطنية ليغرقوا البشرية بالأستبداد والأستلاب والقتل والخراب، زمن تتحكم فيه مجاميع قمعية تدعي امتلاكها للحقيقة وذات مهمات إلهية شأنها شأن الحركات الأصولية وأسياد الأقصاء والتفريق وتوالد النزاعات، يظهرون العداء لكل مايخلق شروط الأصلاح بعقلية الشراكة ولغة التوسط ومنطق التحول، مايجري اليوم من أحداث تمارسها جماعات منفلتة تفتك بالمجتمع العراقي ونسيجه وخلق المزيد من الشحن والتعبئة وأنحسار مساحات تطبيق القانون وعودة حلم بناء دولة المواطنة إلى نقطة الصفر وهيمنة المجاميع المسلحة الخارجة عن القانون أصبحت الدولة أمام خيار واحد الدولة والادولة في حال أختيار الأول يتحتم عليها تغيير دفتر الشروط وإعادة ترتيب الأولويات وخلق البدائل وبناء المعادلات والأتيان بما هو غير مسبوق، ولاسبيل أمام العراقيين للخلاص من هذه القيامة الأرضية سوى النزول الى الشارع والأنخراط في الاحتجاجات والتظاهرات الجماهيرية،طبعاً بعد ان تنتهي جائحة كورونا من احل الضغط على الحكومة واصحاب الشأن لأجتراح الحلول والمخارج التي لطالما نادى بها الحراك الجماهيري ولازال، ودفع ثمنها سيول من الدماء التي أريقت على مذبح حرية هذا الوطن ووضع الحياة على سكة مسارها الصحيح، اليوم الاحتجاجات والأعتصامات هي النافذة الوحيدة التي تجعلنا نلتقي بوجه الوطن الذي ننشد، وطن بلا أحزاب عقائدية متطرفة تغلغلت وسيطرة على كل مفاصل الدولة، وطن بلا طائفية ولاقمع بلا فساد ولا تمييز. نريد عالماً أكثر صلاحاً وجمالاً وتعايشاً، وبنيات صادقة ومتحمسة ورؤى حيوية منضبطة بالأطر الوطنية والأخلاقية، لأعادة ترميم المفاهيم الوطنية التي شوهتها هذه الكائنات الممسوخة حتى تاكلت، وخنقت الأمل وكبلت العزيمة التي سيفك قيدها الأحرار، بأصرارهم وعزيمتهم وتكاتفهم في جعل العراق جسراً وليس ساحة للصراع، كما حولوه اليوم المتكالبين على ثرواته وأصرارهم الكبير لتصفية كل القوى الوطنية، وأعادة أنتاج الأزمات التي يتغذون منها وبما يضمن بقائهم حتى أنهاك المجتمع داخلياً، للحيلولة دون ازدهاره،وتأكيداً لضمان تواجد الدول المستفيدة لمدة أطول من خلال أجنداتهم في الداخل. في هذه الظروف العصيبة يتوجب على كل عراقي حر شريف ان يضع في أعلى سلم أولوياته التخلص من هذه الزمر الفاسدة، بالضغط على مراكز القرار والمشاركة بالحراك الجماهيري، وخاصة صفوة المجتمع ونخبه انطلاقاً من مسؤوليتهم الكبيرة في واجب رسم دروب الحرية، التي خطها أبناء تشرين ليستحقون أوسمة الشرف لمواقفهم الفذة، وشجاعتهم التي تعجز اللغة عن وصف مضامينها تجاه هذه الملحمة الوطنية التي تبغي أسترداد الوطن من سارقيه، كما على الجماهير التي طالتها مخالب البطالة وسحق الكرامة،توظيف أمكاناتها لدعم مثل هذه الاحتجاجات الجماهيرية، لأسترداد الحقوق المنهوبة والكرامة المسلوبة، وبأعلى مستويات التحضر والسلمية هذا السلاح الفتاك الذي يرهب الطغاة أكثر من الرصاص الحي الذي هشم رؤوس الأحرار ولم يمنحهم الموت رؤية تحقيق احلامهم في سقوط حكومة القناصين،أحلامهم التي تحولت الى أفكار ومنهاج حياة للكثيرين من الشباب، والتي بدأوها بفتح الدروب الآمنة للعدالة لكن الوقت لم يمهلهم مدة أطول لتعبيد هذه الدروب، فعبدوها اليوم أيها الأحرار وفاءً لهم،احزاب الفساد لازالت تسرق حقوقنا وتوهمنا بترشيقات أصلاحية شفوية مرة وبأعطاء مكارم وهبات مرة اخرى مدفوعة بوهم الحفاظ على ماتبقى من ماء وجهها إن وجد لأطالة أمد بقائها.

فضاءات مغايرة

هذه الأحزاب التي لاتكف عن المتاجرة بأدمغة البسطاء تترك جانباً الحلول الجذرية لتلهينا عن التفكير بأمهات القضايا الوطنية. لا نأمل من هذه الحكومة برئاسة مصطفى الكاظمي ان يعمل بجدية عاليه مع الاحتجاجات الشعبية كما يجب، ولو كان صادقاً في تعاطيه مع افرازات الواقع ومطالب المحتجين،لمارس سياسة كسر الحتميات المقفلة وأعادة ترتيب الأولويات عبر التمترس بسياسة فكرية جديدة لا التمسك بعنجهية من سبقوه بتحويل كيان الدولة وكأنه ظاهرة صوتية فقط والتي تناغي موقف الأتحاد الأوربي وصمته المخجل أمام سياسة التكالب والشراسة وأكتفوا ببيانات واستنكارات بلا حياء اثناء قتل ابناء تشرين، وهذا خير دليل على خذلانهم وتآمرهم، مما ساعد مافيات السرقة والقتل المنهج في الأستمرار على نهجهم البربري، حيث الأتحاد الأوربي كما الاحزاب على يقين بأن هذه الاحتجاجات الشعبية ستزيح آمالهم ونوايا الأحزاب الأسلاموية المنبطحة لهم. عكس سياسة المنتفضين التي تبنوها والمتمثلة بتوزيع خيرات هذه البلاد للعباد وأعادت القانون للوظيفة بعد ان خرج عن الخدمة منذ قرابة ١٨ عاماً، لكن مايدعوا للبؤس ويبعث على الأسى، لم تنصف بعض الجماهير او الصفوة فيه ومراكز القرار الغير حكومية هذه الاحتجاجات، فكان موقفهم سلبي ومخزي تجاه انتفاضة تشرين،أضافة الى دعاة القهوة عفوا التحرر الذين كانوا يجلسون على مقربة من ساحة التحرير كظاهرة سلوكية شعبية أجتماعية حداثوية ومعطياتها التي تختلف عن كافة باقي الأحتجاجات.

كونت هذه الاحتجاجات فضاءات مغايرة مع مناخات خصبة، وجماهير عجنت عذاباتها مع تجربتها حتى فتحت الدروب الآمنة من أجل أسترداد عافية هذا الوطن، وتوفير الحياة الحرة الكريمة عن طريق معالجات ومقاربات مدركة لأرهاصات الماضي والحاضر ومستشرفة لافاق المستقبل،وسط هذه المحن والويلات نجح الحراك الجماهيري الوطني في تمزيق كفن الظلمة لينسج من بشائر فجر الخلاص جدائل الإنقاذ، في وقت يلف الصمت عار المتخاذين والمهادنين، بل اخذوا يتناولون قضية الحراك من منطلقات سطحية ثأرية تنظر الى الاخر الحر بمنظار ضدي وعدائي، كاشفين عن خوائهم وعدم قدرتهم على تنشيط الراكد من الفكر والالتحاق بركب التغيير.

هنا يكمن سر قوة الفتية التي أرعبت صدورهم العارية حكومة الطغاة، لأنهم بنكهة هذا الوطن وبلا توابل أقليمية ودولية جماهير غير مستلبة من أي جهة، ولم يصنع قدرها أحد بمعزل عن وعيها وإرادتها الأمضى، جيل على قدر عال من المسؤولية تجاه أمهات القضايا الوطنية من هوية وثقافة وتعايش ومواطنة وإصلاح جذري للخراب الذي ترك أثر بالغ في جسد هذه الأمة،لعنة الانتماء لغير الوطن لاتفارق خطاباتهم، تاركين وراء ظهورهم هوياتهم الفرعية ليختاروا بمحض أرادتهم مصيرهم المنشود تحت راية وخيمة واحدة أسمها العراق، هذا ماتؤكده الشعارات المرفوعة البعيدة عن هيمنة الأحزاب الإسلاموية، وقيود تسلطهم جماهير لايهمها إرضاء أي متبع، ولاتسمح لأحد أن يهيمن عليها وترفض وصايا أي أحد يصادر بها دورهم العقلاني والتنويري، مع تأكيدهم على عدم إقصاء الآخر المختلف بقدر ماتستدعيه لإعادة النظر بسياسته لوضعها في المسار الصحيح، هذا التنوع في جمهور المنتفضين هو سر قوتهم وتميزهم وصمودهم وصبرهم، حيث أدركوا أن سياسة أيكال التهم ولعبة التلفيق والتخوين يراد منها الهائهم عن قضاياهم الرئيسية، لأنها تدرك إرهاصات الماضي وأزمات الحاضر وضرورة استشراف آفاق المستقبل، من خلال الوقوف في الموقع الأكثر تقدماً وتعبيراً لمشكلاتها لتعجل في شفاء جسد حياتنا العراقية، المنقوشة عليه ملاحم لاتنتهي من الهول العابس ومداد الشظايا والدم والأنين بفعل الفقدانات المتكررة بلا طائل.